محاضرة /الأسبوع السابع

(الحياة الأدبية في العصر العباسي)

(الشعر)

كانت االبادية في العصر العباسي ليست ببعيدة عن اللغة العربيه الفصحى قبل الاسلام وما تحتويه من شعر يشمل الكلمات الحوشية الصعبه ولو درسنا الشعر العباسي لرأيناه يجمع بين الشعر الجاهلي والأسلامي وظلو يقولون ان الشعر القديم هو القدوة المثلى حتى قال الجاحظ :" لم ار غاية النحويين الا كل شعر فيه اغراب ولم ار غاية رواة الاشعار الا كل شعر فيه غريب او معنى صعب يحتاج الى استخراج "٠

ومعروف أن أهم مجموعتين ألفتا للشعر القديم ألفتا في العصر العباسي هما ألمضليات للمفضل الضبي الكوفي والأصمعيات للأصمعي وهما تزخران بالغريب ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا إن اللغويين لم يكادوا يتركون قصيدة أولا مقطوعة جيدة لشاعر جاهلي أو إسلامي إلا سجلوها ودونوها وفسروها وشرحوها ٠

وكان من اهم ما حفزهم الى ذلك القران الكريم والحديث النبوي حتى لا تستغل دلالتهما على افهام الناس وافهام العلماء انفسهم ،مما جعل الجاحظ يقول :"للعرب أمثال واشتقاقات وأبنية وموضع كلام يدل عندهم على معانيهم وإرادتهم فمن لم يعرفها جهل تاويل الكتاب والسنة والشاهد والمثل ،فاذا نظر في الكلام وفي ضروب من العلم وليس هو من أهل هذا الشأن هلك وأهلك الناس "

وانظم الى ذالك باعث سياسي فإن خلفاء بني العباس أظهرو محافظة شدسدة على لغة القرآن الكريم وبعثو العلماء على مدارسها والتعمق فيها ورواية كل ما يتصل من أنساب وأخبار وأشعار ،وقد جعلو مقياس وظائفهم الكبيره التفوق فيها ،فكنوا لا يستوزرون ولا يسكتبون إلا من حذقها وبرع في أدائها ،واخذو أبناءهم بتعلمها بل اتقانها فأحضرو لهم كبار اللغويين ليحفظوهم كثيرا من نماذجها الشعرية وكي يوقفوهم على صياغتها وأساليبها ،

وتاليف المفضل الضبي للمهدي كتاب المفضليات وهو لا يزال ناشئا في عهد أبيه ذائع مشهور وبذلك سرى في القصر العباسي ذوق محافظ كان له أثره في الشعراء ،اذ كانوا يمثلون بين ايدي الخلفاء مادحين لهم وكانوا يقيسون جودتهم بهذا الذوق فكان لا بد لهم ان يتلاءموا معه حتى يظفرو بما يبتغون من جوائز كبيره وكانت مجالس الخلفاء تكتظ باللغويين مثل الكسائي والأصمعي ،فكان لا بد للشعراء أن يروقهم حتى ينالوا استحسانهم ويرى ذلك الخلفاء منهم فيجزلوا لهم في العطاء

وبذلك أصبح اللغويون سدنة الشعر في هذا العصر وحراسه ،فمن نوهوا به طار اسمه ومن لوحوا في وجهه خمل وغدا نسيا منسيا فكان الشعراء يعرضون أشعارهم قبل إنشادها في المحافل أو أمام غيرهم ممن يتقن الشعر فإن استحسنوها مضوا في شعرهم وأنشدوها وإلا ذهبوا يعاودون الكرة بصنع قصائد جديدة آملين أن تظفر باستحسانهم فمن ذلك ما يروى عن مروان بن أبي حفصة من أنه لما نظم قصيدته (طَرَقتكَ زائرةً فحيَ خيالها) وهي إحدى روائعه في المهدي فذهب إلى حلقة يونس النحوي فقال له :قد قلت شعرا أعرضه عليك فإن كان جيدا أظهرته وان كان رديئا سترته وأنشد القصيدة ، فأعجب بها يونس وقال له إنها بريئة من العيوب ،حينئذ مضى فأنشد المهدي قصيدته فزحف المهدي من صدر مصلاه حتى صار على البساط إعجابا بما سمع ثم قال لمروان كم هي ؟قال مروان مائة بيت فأمر له بمائة ألف درهم فكانت أول مائة ألف درهم أعطيت لشاعر في أيام بني العباس.

و في ذلك يقول الخليل بن احمد: لأبن مناذر "إنماأنتم معشر الشعراء تبع لي وانا سكان السفينة إن قرضتكم ورضيت قولكم نفقتم وإلا كسدتم "وعلى هذا النحو سيطر اللغويون على سوق الشعر العباسي وكان اللغويون لا يستشهدون بشعر العباسيين اعتزازا بالشعر القديم وقد مضو ينتقضون ويجعلون لشعر العباسي سقطات وما هي بسقطات انما جاءت للضرورة الشعريه فقاسوا لغات شاذة ووضعوها بالشعر فمن ذلك ما اخذه الأخفش على بشار من اشتقاقه في بعض أشعاره كلمتي "الوجلى "و"الغزلى "من الوجل والغزل ظنا منه أن هذا من حقه وأن لم يسمع من العرب وكذلك جمعه "نون"بمعنى البحر على "نينان "ظنا منه أن الكلمة تدخل في قياس هذا الجمع وأبونواس هو اكثرهم مآخذ وهي كما ذكرنا تاتي للضرورات الشعريه،وقد تكون هي لبعض

لهجات عربيه وفي ذلك يقول ابن قتيبه :"وقد كان ابو نواس يلحن في أشياء لا أراه فيها ألا على حجة من الشعر المتقدم وعلى علة بينه من علل النحو ومنها قوله

فليت ما أنت واطٍ من الثرى لىَ رمسا

اما تركه الهمز في "واطىء"فحجته فيه اكثر العرب تترك الهمز وان قريش تتركه وتبدل منه واما نصبه رمسا فعلى التمييز ٠٠٠٠الا تراه قال :(فليت ما انت واط من الثرى لي)فتم الكلام وصار جواب ليت في "لي "ثم بين من أي وجه يكون ذلك فقال "رمسا "كما تقول في الكلام "ليت ثوبك هذا لي "ثم تقول "ازارا " لان جواب ليت صار في قولك "لي "وصار الإزار تمييزا "